إنجيل يوحنا: رحلة الإيمان

«أنا قد آمنتُ»

(١١: ١–٥٧)

تأليف: بروس مكلارتي

تعليق الكاتب: قبل كتابة هذا الدرس باسبوع سقط جيمي كوين الذي يبلغ من العمر ثلاثة وعشرون سنة وقد كان عضوا في الكنيسة التي أعظ بها، من على ممر ضيق فوق قاعة بنسون بجامعة هاردينج عندما كان يصعد إلى الدور الأعلى فا فلتت يداه وسقط من خلال السقف بارتفاع خمسون قدما. الحمد لله انه نجا من هذا الحادث الاليم دون اضرار تذكر، وبعد ما قضى ثلاثة أيام بالمشفى، عاد إلى البيت. انه يتمتع الان بصحة جيدة، ولكن أثر سقوطه المخيف كان وقعه كبيرا على الكنيسة. وبعد ذلك الاسبوع المثير، أرادت الكنيسة ان تجتمع لتقديم شكر خاص لله من أجل حياة جيمي وتسبّحه. ونتيجة لذلك قُسمت الموعظة الخاصة إلى خمسة أجزاء تخللها ترانيم خاصة.

المحبة تنمو دائماً من جديد! قد يعتقد الشخص بانه يعرف المحبة كطفل يستريح بأمان في حضن امه. وقد تظن فتاة ما بانها تجد المحبة عندما تجد خطيباً. وقد يعتقد شخص ما بانه قد اكتشف المحبة بكل ابعادها عندما يجد فتاة الاحلام. قد تبدو المحبة كاملة عندما يحمل الأبوين مولودهما الجديد في حضنيهما. وقد نظن باننا قد اكتشفنا من يجعل المحبة شيئا حقيقيا عندما نتعذب من محنة نواجهها مع شخص آخر. تبدو المحبة وكأنها دائما في بدايتها.

الإيمان هو أبداً بداية (١١: ١٥)

الإيمان كالمحبة في كونه له بداية دائمة. على سبيل المثال، كان التلاميذ قد آمنوا بيسوع بحلول الأصحاح الحادي عشر. كان أندراوس قد آمن في اليوم الذي ترك فيه يوحنا المعمدان ليتبع يسوع (١: ٤١)، وآمن فيلبس في اليوم الذي دعاه يسوع فيه (١: ٤٥)، وآمن نثنائيل عندما قال له يسوع بانه كان قد رآه تحت التينة (١: ٤٩). والتلاميذ الذين حضروا العرس في قانا آمنوا عندما رأوا ان يسوع قد حوّل الماء إلى خمر (٢: ١١). قيل لنا بان بطرس والتلاميذ الآخرون الذين شاهدوا إطعام الخمسة آلاف رجل وسمعوا الحديث عن خبز الحياة آمنوا أيضاً (٦: ٦٩). حتى بعد كل هذه العبارت عن الإيمان، قال يسوع لتلاميذه بانه كان مسرورا بسبب الفرصة التي سنحت له لاقامة لعازر من الموت لكي يؤمنوا (١١: ١٥)!

هكذا الإيمان ايضا – دائماً بداية جديدة. هذا ما يعتقده الكثيرون منا، الى ان نمر بتجربة ما تجعلنا نغير من معتقدنا هذا. قد يكون هذا الالتقاء بركة أو تجربة، بالضبط كما تكون ولادة طفل أو سقوطه من ارتفاع عال. يتحول كل شيء بطريقة مختلفة، ويبداء الإيمان من جديد!

يدعونا إنجيل يوحنا اليوم ان نؤمن (٢٠: ٣١). يسمع الكثيرين منا هذه الدعوة ويقولون: «أنا مؤمناً». ولكن إن كنا نستمع ونطلب ونتبع،

قد نجد ان إيماننا يبدأ من جديد.

إيمان مليء بالوعد (١١: ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٠)

عندما التقت مرثا بيسوع خارج بيت عنيا، كان أخوها في القبر منذ أربعة أيام، قد ندبت لأنه لو كان يسوع هناك لم كان قد مات أخوها، قال يسوع مستجيباً لحزنها: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد. أتؤمنين بهذا؟» (١١: ٢٥ و٢٦). يعطي كلام يسوع هذا دافعا قويا للإيمان. الإيمان هو عمل شاق، والشخص الكسول لا يجتهد. لا نؤمن لمجرد اننا نريد ان نؤمن، ولكن سوف لا نؤمن أبداً إن لم نرد ذلك. يشمل الإيمان على التكريس والطاعة والتضحية، والدموع في كثير من الحالات. ولكن قد قُطِعَ وعداً ثميناً لجميع الذين سيؤمنون.

يكون الإيمان من هذه الناحية كالعمل الشاق الذي يقوم به الطالب الجامعي، إذ انه يقوم بعمله بسبب الوعد الذي أمامه بوجود وظيفة جيدة. والعمل بالجهد في المهنة تكون مكافأته راتب جيد أو ترقية. أرجو ان لا تفهم هذا خطأ: لا يؤدي الإيمان إلى مكافأة، ولكن وعود الله هي التي تعطينا الدافع لنبقى أمناء.

الإيمان مرتكز على يسوع (١١: ٢٧ و٤٢)

يدفعنا إيمان يوحنا نحو الإيمان بيسوع. ما نحتاج إليه حقاً ليس الإيمان بالوالدين أو الإيمان بالرسل أو الإيمان بالمسيحيين الآخرين أو الإيمان بالكنيسة، ولا حتى الإيمان بالإيمان، بل ما نحتاج إليه حقاً هو الإيمان بيسوع.

قالت مرثا ليسوع في تصريحها القوي عن الإيمان: «... أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم» (١١: ٢٧). عندما اجتمع يسوع وتلاميذه ومرثا ومريم والجمع الباكي خارج قبر لعازر، صلى يسوع إلى الآب قائلاً: «وأنا علمتُ أنك في كل حين تسمع لي. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلتُ، ليؤمنوا أنك أرسلتني» (١١: ٤٢). ان ذلك في توافق مع بقية ما ورد في إنجيل يوحنا حيث ان القصد هو الوصول إلى إيمان بان «يسوع هو المسيح ابن الله» (٢٠: ٣١).

كان جون پاتون يعمل كإرسالي بإفريقيا، وقد علم وعمد عدداً كبيراً من الناس. ولأن الكتاب المقدس لم يكن قد تُرجم إلى لغة الشعب الذي كان يعلمه، بدأ پاتون العمل الطويل والشاق لترجمة الكتاب المقدس. استمر العمل جيداً حتى بدأ يحاول ترجمة كلمة «إيمان». يبدو ذلك غريباً حيث انه لم يكن يوجد هناك كلمة في تلك اللغة تعني «إيمان». كيف يمكن لأحد ان يترجم الكتاب المقدس بدون كلمة «إيمان»؟

وفي أحد الأيام بينما كان پاتون يصارع هذه المشكلة اللغوية، جاء رجلاً مسيحياً من تلك القرية لزيارته. وكان منهكا من عمل اليوم. وعندما جلس على الكرسي تنهد قائلا: «انه جيد ان ترتكز بوزنك كله على شيء». فأدرك پاتون انه قد وجد تعبير لكلمة «إيمان»: ان تؤمن يعني ان «ترتكز بوزنك كله على يسوع». الإيمان هو التركيز على يسوع وليس على شيء آخر.

الإيمان يثير الإنقسام (١١: ٤٥ و٤٦)

عندما رأى الواقفون خارج قبر لعازر وانه يخرج منه، كان ذلك دليلاً قاطعاً لا يمكن انكاره. كانوا قد رأوا لعازر ميتاً، وأعدوه للدفن، ووضعوه في القبر، ووضعوا حجراً على باب القبر. لقد كانوا شهود عيان لهذه الأحداث. ومن أجل معجزة يسوع، صار هؤلاء الناس أنفسهم شهوداً لقيامة لعازر من الموت! يا ترى هل يؤمنون؟ لا يمكن تجنب صنع القرار.

كتب يوحنا عن الإنقسام الذي حدث بين مشاهدي المعجزة في ذلك اليوم:

> فكثيرون من اليهود الذين جاؤا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به. وأما قوم

منهم فمضوا إلى الفريسيين وقالوا لهم عما فعل يسوع (١١: ٤٥ و٤٦).

وللعجب ان أولئك الناس شاهدوا الأحداث نفسها ولكنهم استجابوا بطريقتين متعاكستين. رأى البعض بانهم كانوا في حضور قوة الله، فآمنوا بيسوع في ذلك اليوم. والبعض « رأوا » فقط إشاعة يمكن ان ينشروها، فانطلقوا مسرعين إلى أورشليم ليخبروا قادة اليهود عن الإثارة التي سببها يسوع. الانقسام الذي حدث بين الناس في ذلك اليوم هو جزءاً مهماً من هذه القصة. والإنقسام هو طبيعة قصة يسوع: عندما يسمع الناس عن يسوع يُجبروا على صنع قرار ما عن هويته الحقيقية. ولا يوجد هناك حلا وسطا.

يدفعنا يسوع ويوحنا الرسول برفق نحو صنع قرار، هل يسوع هو ابن الله، أم كان دجالاً؟ هل كان إلهاً، أم مجدفاً يستحق الموت. ما هو رأيك بهذا؟

الإيمان مهدد (١١: ٤٨)

مضى بعض من الذين شاهدوا قيامة لعازر من الموت إلى رؤساء الكهنة والفريسيين في أورشليم ليخبروهم بما فعل المعلم الذي من الناصرة. وفي تقريرهم اشتكوا بانه « إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأُمتنا » (١١: ٤٨). لقد أدركوا بان الإيمان بيسوع يغير حياة الناس، ويغير الأُسر، ويغير حتى الحكومات. ربما عرفوا « خطورة » الإيمان أكثر مما يعرفها معظم المسيحيون اليوم.

اليوم يتوقع الناس القليل فقط بما يختص بالإيمان. قد جعل الكثير من المسيحيين الإيمان أمراً سهلاً جداً، هشا جداً وغير مكلف أبداً.

الإيمان الذي يدعونا إليه يسوع قد يغير حياتنا برمتها. أراد يوحنا أن يتأكد تماماً باننا نفهم الثمن الذي ندفعه مقابل اتباع يسوع. قد نتألم، قد نضطهد، وقد نفقد كل ما نملك. بالمقارنة مع وعود الإيمان الغالية، حيث تبدو التكلفة شيئاً غير ذات أهمية!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧